الرحلة ...

إلى بلاد الأشواق

"شرح القصيدة الميمية"

للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١هـ

عرض وتحليل

مصطفى عرافة

معيد بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

قسم النحو والصّرف والعروض

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله تعالى فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعـــد :

فإن صلتى بالإمام ابن القيم وكتبه عميقة وبعيدة .

وإنها لتزداد على مدى الأيام عمقاً وبعداً .

فمنذ قراءتى الأُولى لكتابه الممتع « الوابل الصيب من الكلم الطيب » أدركت أننى أمام عالم متبحر . . . وأديب متفنن .

لقد كان من حسن حظى أن وقع فى يدى كتاب الوابل الصيب فأعجبنى العنوان وشعرت بما يحوى من صُورةٍ خلابة تغلغلت فى إحساسى وأحدثت شعوراً يشبه ما أحدثه فى نفسى كتاب آخر كنت قد قرأته فى هذه الفترة المبكرة وهو كتاب « التصوير الفنى فى القرآن » للأُستاذ « سيد قطب » .

وعشت هذا الإحساس العميق ، مع صفحات كتاب « الوابل الصيب من الكلم الطيب » أنتقل من صورة إلى صورة . . . فى صحبة أديب حاذق وعالم متبحر ، فبحثت عن كتب ابن القيم أنْهَلُ من معينها العذب الجميل .

ثم قرأت بعد ذلك شيئاً من « القصيدة الميمية » (الرحلة إلى بلاد الأشواق) فى مقدمة كتاب « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » أذهلتنى روعتها واستمتعت بها أيَّما استمتاع واستغرقت فى صورها وظلالها وأبحرت فى أشواقها . . .

ثم نشأت فكرة تقديم شرح مبسط لهذه القصيدة الجليلة . فعزمت على ذلك . ولكنه كان عزم العاجز المتردد . حتى عرضت عزمى على أخى الفاضل « شرف حجازى » صاحب دار الكتب السلفية بالقاهرة . فوجدت منه التشجيع ، وأطلعنى على نص كامل للقصيدة من مجموعة بعنـــوان :

(أربح البضاعة فى معتقد أهل السُّنة والجماعة) جمعها على بن سليمان آل يوسف .

وقد أثار النصُّ كاملاً للقصيدة أشواقى ، وهز مشاعرى ؛ فأقدمت على الفور . على هذا العمل الجليل ، مستعيناً بالله سبحانه . . وعلى الله قصد السبيل .

* * *

وكان لابد من هذا التساؤل :

إذا كانت القصيدة — : كما سنرى — فى هذه القمة من الروْعة والبيان ، وعلى هذا الثراء من الصور والظلال ، والغنى بالمشاعر الإنسانية والأَشواق النورانية . . فلماذا لم تُعرف فى تاريخ أدبنا العربى وعلى مستوى أدبائنا ، ومدارسنا وجامعاتنا ؟

إن القصيدة بالمقاييس الفنية السليمة ، وبالمعايير الإنسانية السديدة آية فى الفن . . وساحة للجمال . . ومعرِض للأَشواق والمشاعر الإنسانية السامية .

فلماذا لم تتفتح لها الأَبواب فى تاريخ أدبنا العربى . . تلك الأَبواب التى تفتح لقصائد دونها بمراحل فى مقاييس الفن . . والإنسانية ؟

وقد يظن ظانٌّ . . أن السبب هو أن القصيدة قصيدة دينية تتحدث عن الجنة والزهـــد .

ويقيناً ليس هذا هو السبب . . فتاريخ الأَدب العربى يعرف نماذج لشعر الزهـــد .

ولكن العجيب أن هذه النماذج التى يعرفها لشعر الزهد أردأ وأقل فناً من قصيدة الإمام ابن القيم « الميمية » . . كما أن القصيدة ليست من هذه المنظومات التى اشتهرت تسميتُها بالدينية . . إنها قصيدة قصيدة أشواق ومشاعر ، وسيقف القارئ بنفسه على ثراء القصيدة . . وسيحلق معها فى أرقى الآفاق . ولهذا قدمت بفصل لتعليل هذه الظاهرة الخطيرة ، مستفيداً من دعوة السيدة الجليلة « بنت الشاطئ » لتحرير

تاريخنا الأدبى من لانحرافات . . والمقاييس الباطلة ، وإقامته على أسس سليمة وقواعد صحيحة .

ولأن القصيدة الميمية أنموذج فريد وجيد ، ودعوة بالغة إلى السمو بالفن إلى آفاق عالية ومشارف سامية بالاستفادة من طريقة القرآن فى الصور والظلال والاقتراب من النفس الإنسانية لكل ذلك ؛ تحدثت عن دعوة الاستاذ « سيد قطب » للخروج بالقصيدة العربية من واقعها المتخلف المزرى . . إلى الآفاق العليا . . الخروج من الظلمات إلى النور .

وهذه هى القصيدة أمامنا . . دعوة صريحة وحثيثة لبلوغ أرقى الآفـاق .

وتحدثت فى جو القصيدة عن العلاقة الوطيدة بينها وبين حياة ابن القيم وأشواقه وأفكاره فى سائر كتاباته .

وتبين لى — كما سيرى القارئ — إن شاء الله — أن القصيدة تعبير صادق عن صاحبها ، تكشف لنا عن مشاعر إنشان محب . . . يعانى مشاعر الاغتراب والبعد عن المحبوب وديار المحبوب . . فيقوده الشوق إلى هذه الرحلة المثيرة . . « الرحلة إلى بلاد الأشواق » .

وفى استعراض عام للقصيدة . وقفت أمام صورها المذهلة وعشت مع ظلالها الموحية الثرية .

وبينت بعد هذا مدى اهتمام ابن القيم بالصورة والظلال ومدى إدراكه إلى قيمة الصورة والظلال فى اللغة بعامة .

ولقد قادنى هذا إلى تتبع آثار هذه الطريقة فى كتابات ابن القيم ، فثبت بيقين أنه رائد لهذه الطريقة الفريدة .

ثم أوضحت هذه الطريقة من كلام الأستاذ « سيد قطب » ليكتشف القارئ بنفسه كيف أن ابن القيم هو الرائد الحقيقى لطريقة الصور والظلال على المستويين : النظرى ، والتطبيقى .

* * *

وفى الشرح التفصيلى للقصيدة ، بدأت بتفسير بعض المفردات من معاجم اللغة . بعد تقسيم القصيدة إلى مقاطع يحمل كل مقطع منها عنواناً خاصاً ، واهتممت بالإشارة إلى ما يقتبسه الإمام ابن القيم من آيات وأحاديث مع تفسير الآيات وشرح الأحاديث من كلام أئمة التفسير والحديث .

كما اهتممت بشرح بعض مقاصد القصيدة بالرجوع إلى كتب الإمام ابن القيم نفسه حيث فصَّل فيها ما أجمله فى القصيدة .

ثم بعد هذا إشارات مختصرة لبعض الصور البلاغية والتعقيب ببعض الفوائد .

وفى الختام تلخيص لبعض نتائج البحث وإشارة إلى أهم أغراض الرحـلة .

وعلى الله قصد السبيل . . .

مصطفى عراقى

الدعوة إلى تصحيح واجهة تاريخ الأدب العربى

أغتنم هذه المناسبة العظيمة – مناسبة تقديم وتحليل قصيدة الإمام الجليل ابن القيم « الميمية » . تلك القصيدة الغنية بالمشاعر الصادقة ، والحافلة بالأشواق السامية ، والزاخرة بالآيات الفنية العالية ، كما سيرى القارئ إن شاء الله أثناء عرض القصيدة .

أغتنم هذه المناسبة بدعوة لابد منها ولا غنى عنها إن أردنا الخير لأنفسنا ولأدبنا . . ولحقيقة وجودنا . وإن صدقنا العزم على النهوض من واقعنا المزرى لنحلق فى آفاق عليـــا .

إن تاريخ الأدب العربى فى حاجة ماسَّة إلى تصحيح وتنقيح ، بل إنه فى أمسِّ الحاجة إلى إعادة كتابته من جديد وإقامته على أسس سليمة وقواعد صحيحة .

إن الحالة التى وصل إليها هذا التاريخ الأدبى للعرب – ككل ما يتصل بالعرب الآن – حالة مزرية تبعث فى كثير من الأحوال على السخرية . . والاشمئزاز !

ولتصوير تلك الحالة المزرية التى وصل إليها الدرس الأدبى أقدم الصورة الصادقة التى عرضتها السيدة الجلية الدكتورة « بنت الشاطئ » فى كتابها القيّم « قيم جديدة للأدب العربى » (١) ، وقد أرادت أن تجعل

---

(١) الطبعة الأولى – أكتوبر سنة ١٩٦١ (دار المعرفة) .

من كتابها هذا،دعوة صادقة « لتحرير الدرس الأدبى من بعض قيم خاطئة ومقاييس منحرفة ، احتكمت فيه زمانًا وسيطرت ولا تزال تسيطر على فهمنا لتراثنا الأدبى ، وتوجه ذوقنا له ، وإدراكنا لوظيفته فى الحياة ومكانه فيها » أ هـ .

* * *

وقد بينت أهمية هذه الدعوة ووجوب الإصغاء إليها . . تقول : « . . . والعربية قد كان لها من قديم أكثر مما كانت لغة أخرى للناطقين بها ؛ وذلك بحكم اتصال العربية ، لغة المعجزة الدينية ، بالعقيدة التى نعرف سلطانها على الوجدان ، ومكانها فى الصراع التاريخى المرير ، بين العربية وأعدائها : من شعوبية وتتر ، وصليبية واستعمار » (١) .

« . . . ومستقبلنا بلا شك معركة فكرية ، بعد أن انقضى عهد الاستعمار العسكرى (٢) ، ولا مفر لنا من خوض هذه المعركة ؛ لأن وجودنا الكريم لا يحميه إلا صون مقوماته المعنوية » .

« وهنا يأخذ الأدب دوره فى نضالنا الجديد ، حارساً لمعنوياتنا ، وكما لاذ أسلافنا باستنقاذ تراث العربية الأدبى والفكرى فى صراعهم مع الشعوبية ، وكما حموا به العربية دينًا ودولة فى مهبِّ الإعصار التترى ، نلوذ به اليوم لحماية وجودنا ، فى مهب تيارات الغزو الفكرى »اهـ

وكيف ينهض الادب بهذا الدور الجليل ؟

---

(١) ولا يخفى أن قائمة أعداء هذه الأمة ولغتها وأدبها تزداد يوماً بعد يوم .

(٢) الواقع يؤكد أنه لم ينقض ، وأنهم ما يزالون يستخدمونه بحدة وشراسة .

تقول الدكتورة « بنت الشاطئ » :

« . . . ولن ينهض الأدب بهذا الدور الجليل فى المعركة ، ما لم نتحرر من الرواسب التى شوهت تراثنا الأدبى ، وما لم ننج فى ذوقنا له من سيطرة الأذواق التى ورثناها من مخلفات عهود الضعف والانحطاط ، بل لن تقوم للأدب العربى فينا قائمة ، ما لم نلغ الأسوار التى عزلت أبنائنا — وأجيالاً قبلهم من أجمل ما لنا من تراث فنى ولم نمح الظلال التى حجبت عنهم بهاءه ، حين فرضت عليهم نماذج بعينها من الشعر راجت فى ظل الطغيان ، وأشخاص بذواتهم ، من الشعراء والكتاب ، يدينون بشهرتهم وذيوع صيتهم لتعلقهم بركاب الحطام أيام كانوا فى عزلة من الشعوب ، وإلى تمرغهم فوق « بلاط » الأمراء والسلاطين ، أيام كان هذا البلاط يكتم أنفاس الرعايا المحكومين ويهدر ما لهم من حقوق وحرمات . . » ا هـ .

* * *

رأينا إذن كيف تشوَّه تاريخ الأدب العربى ، وكيف ترتب على هذا التشويه مفاسد ومفاسد .

فكان أن حرمنا من كثير من الأدب الصادق الذى يعبر عن حقيقتنا وأشواقنا ورسالتنا فى الحياة .

وكان أن ابتلينا بنماذج منحرفة ، لا تعبر عن أصالتنا وإنما هى دخيلة علينا ، كأشعار المديح الكاذب ، والمجون القبيح .

ورأينا إذن أن الدعوة صادقة ، وأنها كانت كفيلة — وهى صادرة

من أستاذة كبيرة لها شأنها فى حياتنا الثقافية والفكرية ، بأن تتآزر الجهود لإحيائها والقيام بها وبنصرتها . . ولكن يبدو أن هناك من لا يريد الخير لهذه الأمـــة .

* * *

تقول السيدة الجليلة :

وهذه المحاولة تكشف عن أمثلة من انحراف الفهم لتراثنا الأدبى وضلال المقاييس فى ذوقه ونقده وتقويمه . وتلتمس له قيماً جديدة محررة من الشوائب الدخيلة والرواسب المتخلفة .

ولست أدعى أننى بهذه المحاولة وفيت بما يجب للموضوع من إحاطة وشمول » اهـ .

وحتى لا يبادر أحد ويظن أن المسألة ، مسألة هدم لمجرد الهدم تقول : « وأنا أشتغل بهذه المحاولة فى الجامعة من زمن ، أريد بها أن نستخلص لأدبنا العربى قيماً جديدة نابعة من تراثنا الأصيل ، دون التزام بالقيم وبالأحكام التى ذهب إليها نقاد سلفوا ، نظروا فى هذا التراث بذوق عصرهم ، وحكموا عليه بعقلية زمانهم ، وقوموه بموازين بيئاتهم ومجتمعهم ، ثم تركوا أحكامهم وقيمهم للعصور من بعدهم ، فتناقلها الدارسون منا جيلاً بعد جيل ، وصار لها من حرمة القديم وطول العمر وسلطان الإلف ، ما أضفى عليها مهابة ترد عنها محاولات التجديد(١) ، وتحميها ممن يجرؤون على معاودة النظر فيها بعقلية متحررة وذوق حديث » اهـ .

---

(١) هذا رغم صيحات مدعى التجديد فى شتى المجالات .

نعم إنه الهدم الذى يسبق البناء .

ولكن المجال هنا فى حاجة إلى تنبيه . إننا لا ندعو إلى التحرر من موازين قديمة فاسدة ، وقيم بالية منحرفة فى تاريخ الأدب العربى لنرتمى فى أحضان تقليد أجنبى رخيص ؛ لأننا فى هذه الحالة نكون قد استبدلنا شرًا بشر .

والسيدة الجليلة بنت الشاطىء منتبهة إلى ذلك تماماً إذ تقول :

« حين أحاول أن أستحدث قيماً جديدة للأدب العربى ، أجد من الضروري أن أعود إلى قديمٍ لنا بعيد . لكى أستمد لأدبنا مفهوماً نابعاً من أصوله النقية ، وقيماً حرة لا ينكرها أدب العربية فى جوهره الصافى الأصيل . وكثير منا يشفقون من مثل هذه العودة ويريدون لنا — بحسن نية(١) — ألا نشغل بماض عن حاضر وألا ننصرف عن حياتنا هذه التى نحياها إلى حياة قديمة سلفت وانقضت .

ولست أقول هنا إن مثل هذا المذهب إثم وخطيئة ، فليس المجال مجال وعظ خلقى ، لكنى أقول إن وعينا لذواتنا يقتضى حتماً أن نعرف ماضينا(٢) ، وإن حياتنا اليوم لا يمكن أن تقوم إذا بترت منها أصولها .

وإذا كانت دراسة التاريخ القديم لأمة ، ضروري ، لا يسهل أن نتصور إمكان الاستغناء عنها ، فكذلك الأدب ؛ لا يجرؤ واعٍ

---

(١) وفى أحيان كثير بسوء نية .

(٢) وأن نبحث عن الجوانب المضيئة المشرقة فيه .

على الزعم بإمكان الاستغناء عن معرفة قديمنا منه ، لا لكونه تسجيلاً وجدانياً لتاريخنا فحسب ، ولكن — كذلك — لما له من أثر فى تكوين ذوقنا ووجداننا ، على مرّ العصور وتتابع الأجيال » اهـ .

« هى إذن رجعة لابد منها إلى أدبنا الأول ، وعودة لا مفر منها إلى قديمنا الأصيل ، نرد بها على أدبنا ما سلبته إياه عصور الانحطاط والضعف ، ونلتمس لمزاجنا الأدبى الحاضر ميراثه النقى ، ونهتدي به إلى الشوائب الدخيلة التى جمدت ذوقنا الفنى لأدبنا ، وأصابت مناهج الدرس الأدبى بما يشبه العقم والشلل » اهـ .

وقد حدثتنا السيدة عائشة عبد الرحمن عن بعض هذه المقاييس الفاسدة والقيم المنحرفة التى تحكمت ولا تزال فى تاريخنا الأدبى .. وهذا أوان التفصيل .

* * *

١ — الشعر تجارة العرب

هذا أول المقاييس الفاسدة التى نظرت إلى الشعر والأدب عموماً نظرة مادية تجارية عقيمة . لا على أنه أداة الإنسان فى التعبير عن مشاعره وأشواقه وتجاربه . بل تنظر إليه وتقومه بميزان التجار وللأسف كانت هذه نظرة نقاد العرب . يقولون للشاعر : تكلم فى هذا الموضوع لأنه سيعود عليك بربح أكثر ، وتكلم فيه بهذا الأسلوب لتظفر بالربح الوفير . وإياك أن تتحدث عن كذا فإنه سيثير عليك حفيظة الحكام .

كل هذا دون مراعاة مشاعر الأديب وأشواقه وتجاربه .

ولنستمع لتعليق السيدة « بنت الشاطىء » على هذه المقولة المنحرفة :

تقول « .. كلمة تناقلها النقاد من قديم حتى وصلت إلى ابن رشيق فى القرن الخامس الهجرى فسجلها فى كتابه « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » قيمة نقدية مقررة يمكن أن تفسر لنا كثيرًا من الأحكام والمقاييس التى أقاموا عليها وزنهم للشعر وتصرفهم فى أقدار الشعراء ومراتبهم . كما يمكن أن تفسر لنا كذلك اضطراب مقاييسهم وتناقض أحكامهم » .

والنقاد العرب خضعوا لهذا الحكم الفاسد ومثال ذلك :

(لم يجد ابن سلام مكاناً فى طبقاته للشنفري ، ولا لغير

الشنفري ، من هؤلاء الذين يمثل شعرهم نقاء الفطرة العربية وهيامها بالحرية ، ويعبر عن معاناة وجدانية ؛ ويعكس صورة أمينة لواقع حياتهم فى صميم الجزيرة » . لمـــاذا ؟

لأن هؤلاء (لم يكن الشعر عندهم تجارة قط ، وإنما كان متنفساً لشجنهم وراحة لقلوبهم المضناة بالغربة ، وتعبيراً عن وجدان مثقل بالهموم .

ولو شاءُوا أن يتجروا بشعرهم لوجدوا لبضاعتهم مشترين . ولكن فطرتهم العربية الحرة أبت عليهم أن يرضوا بهوان المساومة على ألسنتهم ومشاعرهم فى سوق البيع والشراء ، وأن ينزلوا عن حريتهم التى لم تحتمل ضغط عرف الأهل والعشيرة ، والتى اشتروها بغالى الثمن من غربة وحرمان وضياع » .

فما موقف النقاد العرب إذن ؟

« لقد احتفوا أيما احتفاء ببضاعة التجار من الشعراء وحرصوا أشد الحرص على رواية الشعر الذي قيل فى بلاط المناذرة والغساسنة ولم يكتفوا بأن يجعلوا « المديح » أهم أغراض الشعر بل زادوا فجعلوا المدح غاية القصيدة العربية بوجه عام .

« ويشهد تراثنا أن المدح لم يكن غاية القصيدة وعمودها إلا عند المتكسبين بالشعر » .

« ولم يجهل النقاد أن المجتمع العربى الحركان يأنف من التكسب بالشعر ويسقط من يجعل الشعر متجرًا لكنهم فى حديثهم عن التكسب بالشعر والأنفة منه قرروا أن مدح الملوك مفخرة . . ! وأن الذل لهم معفو ، وأن عطاءهم شرف .

« وقرروا – بناء على النظرة التجارية للشعر – أن الطمع أقوى مثيرات الشعر ودوافعه » .

ويحذر الناقد الشعراء الذين يتصدون لمعارضة السلطان الجائر بقولة حق ، يحذرهم فيقول :

« وأحمق الشعراء عندي ، من أدخل نفسه فى هذا الباب أو تعرض له – يعنى السلطان – وما للشاعر والتعرض للتخوف ، وإنما هو طالب فضل فلم يضيع رأس ماله .

هذه هى نظرتهم للشاعر وصاحب الكلمة : طالب فضل ومستجدي عطاء ، شحاذ بباب الملوك ، تاجر يبغى الربح . . فلم يضيع رأس ماله !

* * *

— ٢ —

« الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل فى الخير ضعف ولان »

قاعدة فاسدة أُخرى . ومقياس منحرف آخر قوّموا به الشعر ! لقد رأوا أن باب الشعر هو الشر ، فليس له مجال سواه ! فيا أيها الشاعر كن شريراً فاسدًا مفسدًا ليكون لك مكان عندهم وإياك والخير ، حتى لا يكون مصيرك مصير « حسان بن ثابت » رضى الله عنه .

« هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سفط شعره » وبرغم أن النقد الحديث لا يمكن أن يتقبل هذه المقولة التى تتعارض مع طبيعة الشعر ، بوصفه تعبيرًا صادقاً عن النفس سواء كان بخير ، أو شر (وليس فى مجال الشر كما تزعم المقولة الفاسدة) .

برغم هذا فلا تزال النتائج العملية لتلك المقولة كما هى فى تقدير منازل الشعراء ، والافتتان بشعر المجون .

وليس هذا مجال مناقشة هذه المزاعم والتصورات الفاسدة .

وأما عدم تقديرهم لشعر حسان وأمثال حسان من شعراء الدعوة من شعراء الدعوة الإسلامية فإنه تقدير لهم بوضعهم فى مكانة أسمى من مقاييسهم المنحرفة .

وبالاطلاع على شعر حسان ترى أن شعر حسان الإسلامى ، أرقى فناً وأصدق عاطفة (والمقياس هنا رقى الفن وصدق العاطفة وجمال

التعبير وليس بمقاييس تجارية ، ترى أن المديح أهم أغراض الشعر . وليس بمقاييس باطلة ترى أن مجال الشعر هو الشر فحسب .

وقد علقت السيدة « بنت الشاطىء » على هذه المقولة الباطلة بقولها فى سخرية : (قالوا هذا ، فما لنا فى الأمر حيلة ، ولا لنا من أحكامهم مفر أو مخلص) .

وتقرر السيدة الفاضلة أن الشعر الصادق لا يسقط بالخير بل يسمو ويرتفع : « ولقد عاش العرب طويلاً والأدب فنهم الأوحد ووسيلتهم التى لا نعرف أنهم كانوا يملكون سواها للتعبير عن وجدانهم ، وجاء الإسلام بمعجزة بيانية ، فكانت هذه المعجزة آية تقدير لمكان البيان فيهم ومنزلته عندهم ، بقدر ما كانت شاهدة أن الإسلام لم يجىء ليعطل البيان ، بل أقر وظيفته فى المجتمع ، وأبقى لذويه ما كان لهم من قديم ، من شرف القيادة الوجدانية ، والتكلم بلسان الجماعة » .

وكان التطور العظيم الذى حدث هو أن الإسلام أراد لشاعر القبيلة أن يصير شاعر الأمة فلم يهدر بهذا ذاتية الشاعر ، بل أراد لها أن ترحب فلا تعود محدودة بنطاق الأسرة والقبيلة .

« ولم يصر الشاعر فى الوضع الجديد داعية مأجورًا ، فما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدًا من خلفائه رضوان الله عليهم يستبيح لنفسه أن يفتح بيت مال المسلمين للشعراء . ثمناً لتأييدهم ، بل ما كان الرسول ولا أحدًا من خلفائه يعتبر هذا المال ملكاً له يتصرف فيه كيفما شاء ، إنما هو مال المسلمين أمانة فى أيدى النبى

صلى الله عليه وسلم والخلفاء ، ينفقون منه على خير الرعية ومصلحة الجماعة طبقاً لحدود الله .

« كان الشاعر إذن ، يصدر عن عقيدة وإيمان ، ويهون عليه فى سبيلهما أن يغضب عشيرته عند اختلاف الدين ، لا التماساً لأجر مادى كما كان يفعل المرتزقة من تجار الشعر ، بل ابتغاء رضاء الله ورسوله » .

فلو سئلوا أن يبذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل عقيدتهم ، لما ترددوا فى بذلها طائعين راضين ! » .

ولنتابع عرض مقاييسهم الفاسدة .

* * *

— ٣ —

« تحكم القصر فى تحديد صنف البضاعة الشعرية المطلوبة »

« .. وكما احتاج نظام القبيلة إلى الشاعر يؤيده ويحميه واحتاجت الأُمة الإسلامية أول عهدها إلى تعبئة وجدانية يتولاها الشعراء .

— احتاج الوضع الملكى الجديد إلى الشعر يؤيده ويناضل عنه ويمكن له فى نفوس الجماهير .

وكان بيت المال فى أيدى رجال القصر وعملائه . وكانت سطوة السلطان تسندهم فراحوا ينتزعون التأييد ، إما بإغراء المال ، أو برهبة السلطان . ومن يومها بدا كأن القصر هو الدنيا .

أو هذا هو ما يمثله لنا التاريخ الأدبى .

« وكانت المنافسة بين شعراء البلاط على القربى والرضى لا تهدأ ولا تفتر » .

« وكما كان القصر يتصرف فى منازل شعرائه ، ومراتبهم الشعرية ، ويوزع عليهم حظوظهم من الشهرة والرزق كان كذلك يتصرف فى شعرهم ويحدد لهم مجال القول » [صفحة ١٠٠] .

« ومثل تلك البيئة يروج النفاق والكذب والزيف ، ويدور الشاعر مع الريح » [صفحة ١٠٦] .